

## الفصل الثالث عشر

### [ بعض الحرية ]

بعد هروبنا الذي كاد يفشل، وبعد انفصالنا في البداية عن أدهم وبسمة، وانفصالي التالي عن أمجد، ركضت في الغابة السوداء المظلمة وحيدة لا يصاحبني فيها إلا الصمت التام عدا عن أنفاسي اللاهثة المتلاحقة..

دام ركضي مدة طويلة لم أر فيهما أي حارس لحسن حظي، كما لم ألتق بأي من رفاقي.. دعوت لهم بالسلامة وأنا أركض دون وجهة ودون هدف محدد، إلا أن أنفذ بجلدي..

بعد فترة قصيرة سمعت صوت خطوات تتردد خلفي وهي تلاحقني، ألقيت نظرة سريعة ولم أدرك هوية الشخص خلفي بسبب الظلام مما زاد ذعري وأنا أزيد سرعتي قدر استطاعتي.. تجاوزت عدة أشجار واندفعت وسط أجمة شجيرات تسد الطريق مما تسبب في تخفيف سرعتي، لكن فات الأوان للعودة والخطوات تقترب مني أكثر.. فدفعت نفسي بقوة بين الأفرع المتشابكة محاولة تخطي الأجمة الكثيفة مهما تخذش وجهي وجسدي منها، ولم أكد أخطو خطوة خلفها حتى علت شهقة قوية من حلقي وأنا أشعر بقدمي تعانق الفراغ التام.. شعرت بنفسني أنزلق بسرعة ومددت يدي أحاول التمسك بالأفرع التي تكسرت مع ثقلي قبل أن أجد يدي اليمنى تمسك جذع شجيرة متوسطة الحجم تقف قرب الحافة..

لهثت بقوة وذعر وأنا أرى على النور الضعيف للقمر تلك الهوة العميقة من تحتي وقدمي معلقتان في الفراغ.. حاولت رفع يدي اليسرى والتمسك بشجيرة ثانية لرفع جسدي للأعلى، لكنني لم أفلق وأنا أسمع صوت تكسر في جذع الشجيرة الأولى.. يبدو أنها لن تتحمل ثقلي، فحاولت رفع جسدي بسرعة رغم انزلاق قدمي على الصخور المجاورة لي.. ولم أكد أتقدم في ذلك حتى انكسرت الشجيرة فجأة وأنا أشهق وأتخبط في الفراغ محاولة الإمساك بأي شيء.. وشعرت بجسدي يهوي وأنا أكنم صرخة ذعر من أن ثقلت حلقي.. شعرت بالوقت يمر بطيئاً جداً وكأنه فيلم قد تم تأخير سرعته بشكل كبير وأنا ألوح بذراعي.. إلى أن وجدت ذراعي اليسرى تتشبث بشجيرة نبتت في جانب الهوة شاقة الصخور بعزم مدهش.. توقف جسدي عن الهبوط بقوة ألت ذراعي وأنا أتمسك بالشجيرة بيديّ الاثنين.. تنهدت بقوة وأنا أحاول السيطرة على ذعري ودقات قلبي الهائجة.. ثم ألقيت نظرة قلقة على الشجيرة وأنا أخشى تحطمها، وهي كانت بالفعل تكاد تنتثني تحت ثقلي الذي فاجأها.. تلفت حولي بيأس.. كان الجرف منحدرًا انحداراً رأسياً من المستحيل عليّ أن أتسلقه للأعلى، أما

نهاية الهوة فقد كانت بعيدة عني وسقوطي فيها لن ينتج عنه إلا كسور بعظامي إن لم يكن موتي.. ظللت في موقعي واليأس يتزايد في صدري وأنا أزرع بضيق وعقلي عاجز عن إيجاد مخرج للوضع الذي أنا به.. حتى بعد موتي لن يكتشف رفاقي موقع جسدي ولن يعلموا بموتي فالهوة مغطاة جيداً بساتر من الأشجار تبعتها عن الأنظار..

شعرت بصخور صغيرة تتناثر قربي وعلى رأسي، فنظرت للأعلى بقلق.. أياكون ذلك الذي جعل الصخور تتساقط هو صاحب الخطوات التي كانت تلاحقني؟ لم أر أي شخص مما حيرني، ثم بعد لحظات قصيرة وجدت حبلاً طويلاً يسقط ممتداً بجواري، وسمعت همساً في الأعلى يقول "تشبثي بالحبل يا حمراء"

رفعت بصري لأجد أمجد ممسكاً بالحبل بانتظاري، فقلت له بقلق "قد لا تستطيع تحمل ثقلي فتسقط معي.."

قال أمجد "لا تقلقي.. لقد ربطته في شجرة قريبة.. أسرع قبل أن يقترب منا أحد الحراس.."

مددت يدي وتشبثت بالحبل وأنا أتأكد من قوته، ثم تركت الشجيرة وتعلقت بالحبل محاذرة الاصطدام بالصخور وإيذاء جسدي أكثر من السابق.. ثم قلت لأمجد "لدي فكرة جيدة.."

وبدأت أنزل قليلاً وهو ينظر لي بتعجب، ثم قال لي "ما الذي تفعلينه؟ أسرع بالصعود قبل أن يداهمنا الحراس"

لكنني لم أجبه وأنا أكمل نزولي لعدة أمتار، وبعد أن تأكدت من فكرتي هتفت لأمجد الذي كان يراقبني "تأكد من تغطية الحبل في الأعلى لكي لا يعثر عليه أحد، ثم اتبعني وكن حذراً.."

سألني مقطباً "ما الذي تنوين فعله؟"

قلت له مشيرة بإصبعي "هنا فتحة في الجرف يمكننا الاختباء بها حتى تخف المطاردة قليلاً.. هيا اتبعني"

لم يجد أمجد بداً من متابعتي، فيما كنت أهبط بقدمي علي الجزء البارز من الفتحة التي كانت على شيء من الاتساع تكفي لإيواء أربعة أو خمسة أشخاص.. تركت الحبل وإن أبقيت بصري معلقاً بالأعلى وأنا أرى أمجد يعود بعد أن أخفي الحبل بأوراق الأشجار، ثم أمسك الحبل بقوة وبدأ النزول محاذراً أن يزل أو تنزلق قدمه على الحجارة.. مضت دقائق طويلة وأنا أراقب الأعلى خشية أن نجدنا أحد الحراس أو يسمع أصواتنا، ولما هبط أمجد قربي ونظر للفتحة بدهشة قلت له "ما رأيك؟ أليس حلاً رائعاً؟"

لم يعلق وهو يسألني "هل أنت بخير؟"

هزرت رأسي إيجاباً وأنا أقول "شكراً لك.. لو سقطت في تلك الهاوية لمت على الفور"

قال أمجد ووجهه يفضح قلقه "الحمد لله على نجاتك.. كاد قلبي يتوقف ذعراً وأنا أراك تسقطين أمامي وخشيت ألا ألحق بك.."

كان في قوله مبالغة شديدة.. لكنني تجاوزت عن ذلك وهو يقترب مني ويمسك يدي قائلاً "هل تأذيت؟ ألم تصابي بأي إصابات؟"

كانت الخدوش والجروح البسيطة تملأ كفي والكدمات تملأ ذراعي من تحت كم ثيابي.. لكنني سحبت يدي قائلة "لا تقلق.. هذا لا شيء.."

مدّ يده ليمسح بعض الغبار الذي علا وجهي وهو يقول مقطباً "لا شيء؟ لو كانت الإصابة أسوأ لما استطعت علاجك فنحن لا نملك أي عدة طبية كما تعلمين"

لكنني أبعدت يده ومسحت وجهي بكم ثوبي قائلة "أعلم ذلك.. لكن هل ظننت أنني تعمدت القفز في هذه الهوة من باب التسلية؟"

زفر أمجد وهو ينظر للأعلى وقلق يغزو ملامحه، فيما جلست أنا جانباً أحاول الحصول على بعض الراحة بعد كل الجهد الذي بذلناه هذه الليلة.. حسب تقديري لم يبق الكثير على طلوع النهار، لكننا سنظل مختبئين حتى تهدأ المطاردة ونتمكن من الحركة بحرية أكبر ودون مخاطر..

تساءلت وفكري يعود لمن خلفناهم خلفنا "أين تعتقد أن بسمة وأدهم قد اختفيا؟ هل تظنهما نجيا من الحراس؟"

قال أمجد وهو يجلس جانباً بدوره "لقد اتفقنا على أن نتقابل في بقعة معينة على أطراف هذه الغابة.. وأتمنى أن ينجحنا في اللحاق بنا هناك.."

تساءلت بدهشة "كيف أمكنكما تحديد مثل تلك البقعة وأنتما لم تخرجا من المسار الذي حددوه لنا في المنجم؟"

قال أمجد وهو يبحث في حقيبته التي قمت بتجهيزها له ليحمل عدته بها "لقد استعانوا بي مرة في العمل على أحد المرتفعات القريبة من المنجم، مما أتاح لي الحصول على نظرة شاملة للمنطقة المحيطة بالمنجم والغابة.."

استخرج من حقيبته بعض الماء، فرماه لي قبل أن يتناول آخر ويجرع بعض الجرعات منه.. ثم أعاده لحقيبته وأضاف "في الجهة الشرقية للغابة، هناك جبال ممتدة تشغل مساحة كبيرة.. مثل تلك الجبال تحوي مخابيء كثيرة يمكن أن نلجأ إليها حتى نتمكن من تنظيم أنفسنا وبدء خططنا التالية" فغمغمت "أتمنى ألا يصاب أدهم وبسمة بأي أذى وينجحا بالفرار.."

شربت بعض الماء الذي أطفأ الحريق بداخلي.. ثم احتفظت بما بقي فما جلبناه معنا من ماء قليل جداً.. لم نكن نملك إلا تلك الحقائب البدائية والتي تحوي أقل القليل من كل شيء نحتاجه..

قال لي أمجد ملاحظاً التعب الصارخ على وجهي "حاولي أخذ قسط من الراحة قبل أن نعاود السير.. نحن لم ننم اليوم بطوله، وهذا المجهود الذي بذلناه في الهرب ستظهر نتائجه في أسوأ الأوقات الممكنة"

سألته وأنا أشعر بكل خلايا جسدي تنن "وماذا عنك؟"  
قال مطمئناً "سأفعل المثل بعد أن أتأكد من أماننا هنا.."  
لم يكن المكان مريحاً أو مهياً لنوم مثالي، لكنني اكتفيت بوضع حقيبتني خلف رأسي والبقاء جالسة حيث عقدت ذراعي على صدري، وأغمضت عيني مستسلمة لتعبني والهدوء يعم المكان حولي.. كنت سأكتفي بإغماض عيني وإراحة جسدي، لكنني لم أتوقع أن أغرق في مثل هذا النوم العميق..

\*\*\*\*\*

تنهدت بسمة والتعب يجعلها مضغضة الأعضاء، ورغم تواجدهما في ذلك المخبأ المؤقت المكون من كهف واسع المدخل في أقرب الجبال للغابة، إلا أنها لم تستسلم للنوم والراحة وقلقها يشتد علي وعلى أمجد.. خاصة مع مرأى تلك المروحية التي تجوب السماء منيرة ما تحتها من أشجار..  
التفتت إلى أدهم الصامت بشكل غريب، فرأته يتأمل السوار في يده بتمعن شديد.. سألته بشيء من القلق "أهناك أي خدش على سوارك؟ أي خدش ولو كان صغيراً سيتسبب في القبض علينا لا محالة.."

قال أدهم وهو يتناول شيئاً من جيبه "ليس هذا ما يشغل تفكيري.."  
نظرت ليده فرأيتة يحمل خنجرًا كبيراً نوعاً، فسألته بقلق "ما الذي تنوي فعله؟ انتظر قدوم أمجد وشاوره بالأمر.."  
قال ملوحاً بالخنجر "أمجد هو أول من سيعترض.. لكنني لن أنتظره.. إن شككت في ما قد يحدث لي فاهربي على الفور.. ولا تنتظري لتري ما سيحل بي"  
وقفت بقلق وهي تهتف "توقف أيها المجنون.. ما الذي تنوي فعله....."  
قطعت هتافها مع حركة يده السريعة، وصمتت وهي تتأمل السوار الذي استقر مقطوعاً في راحة يده..  
ظلت تحديق فيه بذهول بينما أطلق أدهم ضحكة عالية وقال "ما رأيك؟"  
لم تستوعب حدوث ذلك بتلك السرعة والسلاسة.. والأغرب أن السوار ظل صامتاً في يده باستكانة غريبة.. أخيراً تساءلت "كيف؟ لقد أبلغونا أن قطعه مستحيل.."  
أجاب أدهم وهو يقف مقترباً منها "هذا ما أرادوا إيهامنا به.. إن حاولنا فعل ذلك والسوار يعمل لمرة

شحنة كهربية كافية في أجسادنا لإفقادنا الوعي.. أما وهو معطل، فما المانع؟"  
 وأمسك السوار في يدها، وبحركة سريعة كان قد خلصها منه ولوح به أمام وجهها مضيفاً "أليس هذا  
 أفضل من الشعور بالخوف الدائم من انكشاف السوار؟"  
 لم تعلق وهي تفرك يدها بشيء من الراحة، ثم تساءلت "أتظنهما سيصلان قريباً؟"  
 عاد ليجلس قرب مدخل الكهف متسلحاً بسلاحه وقال "لا أعلم.. هذه هي الحقيقة الوحيدة.."

\*\*\*\*\*

عندما استيقظت، راعني الهدير المخيف الذي أفرزني من نومي، ونور يشق السماء ويضيء الهاوية  
 ليكشف كل بقعة فيها.. وقفت على قدمي والتصقت بالجدار خلفي وأنا أتساءل بفزع "ما هذا؟"  
 أجابني أمجد وهو يتراجع للجدار بدوره لئلا يكشفه النور "هذه مروحية.. إنها تجوب الغابة بحثاً  
 عنا.."

تساءلت بقلق "هل يستطيعون رؤيتنا هنا؟"  
 قال "لا أتوقع ذلك.. الهاوية ضيقة والمروحية لا تستطيع النزول لترانا وموقعنا منخفض بالنسبة لها..  
 لكن...."

قطع قوله وهو يهتف "يا إلهي.. الحبل.."  
 نظرت له بغير فهم، ثم استوعبت الأمر فجأة.. فمع النور، كان الجرف واضحاً لقائد المروحية بشكل  
 كامل.. ولا يمكن له أن يغفل عن الحبل المتدلي والذي كان للأسف بلون أحمر شديد الوضوح.. فقلت  
 بتوتر "ماذا نفعل الآن؟"

أجاب أمجد وهو يتأمل نور المروحية الذي كان يدور في البقعة "لا أعلم.. أظن المروحية ستخبر  
 الحراس بأمرنا على الفور.. ولا نستطيع استعادة الحبل من موقعنا هذا..  
 قلت "ألا يمكننا أن نتسلق الجرف ونلوذ بالهرب قبل قدومهم؟"  
 قال أمجد "أعتقد المروحية ستظل صامتة تراقب هروبنا؟ لا أشك في كون هذه المروحيات مسلحة"  
 ظللت أتأمل ما ظهر من المروحية أمامي، ثم قلت بحزم "لن نعرف حتى نحاول"  
 وحملت حقيبتني على كتفي وأسهرت أمسك بالحبل، لكن أمجد أمسك ذراعي وهو يهتف "أيتها  
 المجنونة.. ما الذي تنوين فعله؟"

قلت مقطبة "الهرب.. أليست هذه هي خطتنا؟"  
 قال بحدة "ستكونين كمن يتوسل لهم ليصيبوك برصاصاتهم.. هذا أغبى تصرف ستقومين به في

حياتك والأخير حتماً"

فقلت "أتملك حلاً آخر؟"

قال بضيق "فلننتظر ابتعادها.. وعندها سنحاول"

علقت بهزء "إذن نكون وفرنا على الحراس النزول إلينا.. سنصعد لنجدهم يستقبلوننا بأذرع مفتوحة"

وشرعت بتسليق الحبل رغم اعتراضه.. ولما هتف منادياً بحدة، قلت له "إن لم ترغب باللحاق بي

فاختبيء في الفتحة.. لن يدور بخلدكم وجودك فيها وحيداً.."

بعد لحظة صمت غاضبة، زفر أمجد بحدة وهو يراقب المروحية التي قامت بدورة واسعة في السماء

قبل أن تعود للهاوية.. ثم قام بالتسليق بدوره وهو يقول لي "قد نجد الحراس في انتظارنا في الأعلى"

قلت معلقة "لنأمل غير ذلك.."

وجدنا المروحية تسلط كشافها علينا وتكشفنا بشكل تام.. ولا أشك أن يكون قائدها يهيب بالحراس

الإسراع للموقع، لكن للمفاجأة، فإنه لم يحاول إطلاق رصاصة واحدة نحونا.. رغم أننا سنكون هدفاً

سهلاً، لكن يبدو أنه لم يتلق الأمر بذلك بعد..

تسلقت الحبل بأسرع ما أستطيع وأمجد على إثري.. ولما وصلت للأعلى وجدت يدين ترفعانني

وتقبضان عليّ بقوة.. نظرت متفاجئة لأجد حارساً يقيد يديّ بيده ويكمم فمي باليد الأخرى، بينما وقف

حارسان ينتظران أمجد الذي لم يدرك ما حلّ بي وهو مستمر بالصعود.. حاولت مقاومة الحارس

وحاولت حتى عض يده، لكنه ازداد تشبثاً بي فيما تسلق أمجد قمة الجرف ليفاجأ بالأسلحة الموجهة

لرأسه..

تنهد أمجد وهو يقف مفلتاً الحبل والحراس يجردونه من سلاحه، وقال لي "كان يجب أن نهرب منذ

البداية.."

لم يكن لهذا أي معنى فقد مضى ما مضى.. وجدت الحارس يطلق فمي بينما بقي قابضاً على يديّ

وهو يرفع إحدهما وينظر لسواري متسائلاً "كيف فعلتم ذلك؟ أهذه المادة مصنوعة من حجارة المنجم؟"

لم نجبه بكلمة.. الآن قد اكتشفوا سرنا الصغير ولن يسمحوا لنا بتكراره أبداً.. ولشدة ذعري وجدته

يحاول إزالة المادة السوداء من السوار، ومعنى ذلك أن تمر شحنة كهربية في جسدي وتتسبب في

إفقادي وعيي على الفور كما حدث أول مرة..

ركلته بقوة على ساقه حتى أفلت يدي فابتعدت عنه وإن ارتفعت الأسلحة نحوي وأمجد الواقف قريباً

مني.. ثم قال أحد الحراس لزميله "قيدهما لئلا يفلتا مرة أخرى.."

نظرت لأمجد بقلق وبادلني القلق ذاته.. تقييدنا يعني صعوبة جديدة تضاف لمتاعبنا الجمّة.. وهذه المرة

سيغدو الإفلات من هذا الفخ شبه مستحيل..

بحث الحارس في جيوبه ثم غمغم "لست أملك واحداً.. لنأخذهما للمركبة ونقيدهما هناك قبل نقلهما للإدارة"

تنهدت بشيء من الراحة والحارس يدفعني مع أمجد لنتبعه بينما بقي الآخران خلفنا بأسلحتهم المشهورة.. فسرنا دون مقاومة وأنا أهمس لأمجد "وبعد؟"  
أشار لي لأصمت، ولم أله على ذلك.. من الصعب الحديث بحرية وزوج من العيون المترصدة يراقبنا باستمرار..

وبعد سير قصير، اقترب أمجد مني قليلاً في سيره وهمس "هل تستطيعين إبعاد سلاح الحارس خلفك حتى أتخلص من الآخرين؟"  
هزرت رأسي قليلاً لكن لكزه أحد الحراس بالسلاح وهو يقول بصرامة بلغة نايبو "سر في طريقك ولا تتهاوسا"

صمت أمجد مبتعداً وأنا أراقبه، وبعد لحظات رأيته يعد بأصابعه.. واحد.. اثنان.. ثلاثة..  
في تلك اللحظة ارتد أمجد على الحارس خلفه، وفي الوقت ذاته كنت أقف فجأة وأتراجع خطوة للخلف حتى شعرت بالسلاح يضغط على ظهري، عندها قبضت السلاح بيد وبالأخرى تمسكت بالحارس، وقبل أن يدرك ما يحدث له كنت قد جذبتة وأنا أنحني ودفعته من فوقتي لأرميه على الحارس الذي توقف عن السير أمامنا وكاد يرفع سلاحه في وجوهنا..  
كان أمجد قد تمكن من الحارس الثالث في الوقت ذاته، فانطلقنا سوياً هاربين قبل أن يقف الحراس على أرجلهم من جديد وتبدأ المطاردة مرة أخرى.. وسمعت أمجد يسألني بتعجب "كيف أمكنك فعل ذلك؟!"

كنت أنا نفسي متعجبة مما فعلته، لكنني قلت هازة كتفي "يبدو أنني أخذت دروساً لا بأس بها في الدفاع عن النفس في الماضي.. وقد قررت هذه القدرات أن تظهر الآن..  
غمغم بتعجب "لم أعرف ذلك عنك قبلاً"

سألته بشيء من السخرية "وهل تعرف عني أي شيء قبل قدومي للكويكب؟"  
صمت أمجد صمتاً غريباً مما جعلني أنظر له بتعجب، وإن لم أحمل الأمور أكثر من طاقتها.. فقط رجوت أن نخرج من الغابة بسلام دون أن نواجه المزيد من المتاعب..

\*\*\*\*\*

كانت الشمس قد انتصفت السماء عندما وصلنا للجبال تاركين الغابة خلفنا.. لم تحدث لنا أي مفاجآت

أخرى مع الحراس بعد حادثة الجرف، وهذا ما مكننا من التقاط أنفاسنا..  
لازالت المروحية تجوب السماء وإن كان ذلك في اتجاه بعيد من الغابة، وهذا دليل على أنهم فقدوا أثرنا  
تماماً وغدونا في أمان مؤقت..

قلت لأمجد وأنا بالكاد أتنفس بعسر "كيف سنستدل على موقع أدهم وبسمة؟ أم أنك تنوي أن تجوب  
الجبال كلها بحثاً عنهما؟"

التفت إلي قائلاً "هل أنت متعبة؟"

قلت وأنا أقف مستندة بيدي على ركبتيّ دون أن أجد في نفسي القوة للاعتدال "ماذا ترى؟ لقد  
قضينا الليل بطوله وجزءاً من النهار نركض دون توقف.. أليس من الطبيعي أن يصيبني التعب بعد كل  
ذلك المجهود؟"

غمغم أمجد وأنا أشم رائحة إشفاق في نبرته "لم يبق لنا إلا القليل.. اصبري قليلاً ثم يمكنك الراحة  
عندما نصل لهدفنا"

لم أجد بداً من اللحاق به وأنا أتساءل "وما هو هدفنا هذه المرة؟"  
أشار لما أمامه قائلاً "هذا.."

تتبعته إشارته لأجد على مبعدة منا وسط الجبل كهف واسع المدخل، ولاشك أن مدخله هذا يبدو من  
مسافة بعيدة.. فعدت أسأل أمجد "كيف استطعت تحديد هذا الكهف من المنجم؟ وكيف عرفت أن أدهم  
سيصل لهذا الكهف بالذات؟"

أجابني "إنه يبدو من المرتفع قرب المنجم بوضوح تام، وقد رسمت خريطة لأدهم حددت له موقعه  
استناداً لموقع المنجم والمسكن.. وأتمنى ألا يخيب ظني فيه.."

لم نكد نصل لمدخل الكهف، حتى سمعنا صوت سلاح يشهر في وجوهنا.. فتجمدنا في موقعنا قبل أن  
يهتف أمجد "أدهم.. أهذا أنت؟"

وصلتنا تنهيدة ارتياح قبل أن يظهر أدهم قائلاً "ظننتكما بعض الحراس، فمن الصعب علي رؤيتكما  
من هذه الزاوية.."

ظهرت من خلفه بسمة وسعادة تملأ وجهها، فتنهدت بارتياح لرؤيتهما سالمين.. ثم قلت لهما وأنا أسير  
مثقلة الخطى لقلب الكهف "الحمد لله على نجاتنا جميعاً.. الآن لا يحدثني أحدكم فلدي موعد مع  
النوم.."

ضحك أدهم معلقاً "يا لك من عجوز.."

كدت أرد عليه برد حائق، لولا أن هتف أمجد بذهول "أدهم.. ما الذي فعلته بسوارك؟"  
نظرت ليد أدهم بفضول فرأيتها حرة طليقة بغير قيد يقيدها، وكذلك كانت يد بسمة.. ثم نظرت لأدهم



بدهشة مذهولة وهو يجيب ببساطة "قطعته.."

تعجبت لرده البسيط وكأنه أمر متوقع وعادي، وأمجد يسأله بحدة "كيف فعلت ذلك؟ ماذا لو تسببت في كشف موقعنا أو أزلت جزءاً من الطبقة العازلة ودلت الحراس علينا؟"

قال أدهم مقطباً "أليس الوقت متأخراً جداً لهذا التأنيب؟ لقد قطعته ولم نواجه أية عواقب تذكر" ورغم ذلك، إلا أن أمجد قد ثار بشدة، ونال أدهم منه تأنيباً شديداً لمدة ليست بالبسيطة.. يبدو لي أمجد ممن يتحسسون خطواتهم جيداً قبل السير ولا يمكن أن يغامر بالقفز أبداً.. وهذا يخالف طبيعة أدهم كثيراً..

رغم اعتراض أمجد على فعل أدهم، إلا أنه استسلم له بصمت حتى تحرر من السوار وكذلك فعلت أنا.. فركت يدي حيث كان السوار يحتله سابقاً.. كان شعور عجيب بالحرية يتملكني كما لم يحدث من قبل.. ذلك القيد البغيض الذي يشعروا بأننا مراقبون، أن أنفاسنا محسوبة علينا قد زال أخيراً.. ويا لها من راحة..

ثم قال أدهم وهو يحمل الأجزاء في يده "ماذا نفعل بها الآن؟ لا يجب تركها معنا أو تركها هنا لتدلّ على المسار الذي اتخذناه.."

فقال أمجد وهو يتناول الأساور منه ويربطهم في قطعة قماشية مزقها من أحد الأردية التي حملناها معنا "علينا أن نرميها في هوة سحيقة.. والأفضل حمايتها لئلا تتخدش فتعود للعمل وتدلهم على موقعنا في هذه الجبال.."

مدّ أدهم يده ليتناول الأساور الملفوفة، لكن أمجد لم يسلمه إياها وهو يقول "لا أضمنك بفعل كهذا.. سأذهب لرميها بنفسي، فابقوا أنتم هنا وانتظروا عودتي.."

وغادرنا ليقول أدهم فور غيابه "ذاك الرجل مهووس بالكمال في كل عمل يقوم به.. لن نتقدم إن لم نغامر ونتعلم من أخطائنا"

قالت بسمة بخفوت "إنه يخشى علينا ويحاول حمايتنا.."

فقال أدهم "هذا لا يعني أن نقيّد أنفسنا دون معنى.. إنه لا يتقبل أي شيء نفعله دون استشارته.."

فقالت بسمة بشيء من الحدة "لأنه لا يندفع لأي فعل دون تفكير أو تقدير للمخاطر كما تفعل أنت.."

فقال أدهم بتعجب وضيق "ولماذا تدافعين عنه؟"

خففت بسمة رأسها بضيق ولم تجب، ويبدو أن صمتها قد أساء أدهم كثيراً وهو يصمت بدوره..

\*\*\*\*\*

ركل الكرسي بقوة ليرتطم جانباً وهو يصرخ "أنت خدعتني.. كذبت عليّ.. ما الذي تستفيد من تحطيمي؟"

قال الرجل المتأنق ببرود "أنت تسببت بهذا لنفسك.. خسرت مباراة مهمة، وخسرنا معك أموالاً طائلة" فقال بغيظ "هذا شيء لا أملكه.. لست أقوى ولا أمهر ملاكم في العالم.. من الطبيعي أن تصيبنني الخسارة في بعض المرات.."

قال الرجل المتأنق بحدة "ليس مقبولاً.. أنا لم أخترك من بين المئات لتخسر.. نقودي ليست رخيصة لأرميها في مباريات خاسرة"

قال بحدة "لماذا ترميها في المباريات أصلاً.. لم لا تستثمرها في أعمال أكثر فائدة" ضرب الرجل المتأنق الطاولة أمامه صائحاً "ليس من شأنك.. عليك أن تفوز.. وإلا وضعت كل الأموال التي أخسرها ديوناً على ظهرك"

فقال بغضب "لست لعبة بين يديك.. لن أشارك في مثل هذه المباريات.. بل وسأفصح كل ما يجري هنا حالاً.."

قال الرجل المتأنق بعينان متسعتان "لن تجرؤ.."

ابتسم بسخرية قائلاً "جرّبي.."

وغادر بحدة ضارباً الباب بقوة خلفه.. بينما قال الرجل المتأنق بغيظ "أتتحدايني يا هذا؟ أنت ميت.. صدقني ستكون كذلك بإشارة من يدي.."

\*\*\*\*\*

قرب المغيب، كنت مع أمجد نتفحص مجموعة من الكهوف التي يزخر بها الجبل بحثاً عن مخبأ جديد وأكثر أمناً.. وبعد بعض البحث، عثرنا على كهف عميق نوعاً ومدخله شبه مغلق لا يبدو للناظر إلا لمن يقترب منه كثيراً.. ولما تفحصناه عن كثب واقتنعنا به كأفضل مأوى لنا الليلة، قال أمجد "ابقي هنا.. سأذهب لمناداة أدهم وبسمة وأعود سريعاً.."

قلت وأنا أبعد "بل أنا سأفعل.. لا أشعر بالتعب بعد.."

ورحلت قبل أن يعترض.. كنا قد تركنا بسمة وأدهم في الكهف الأول بانتظار عودتنا، فلم يرغب أمجد بالمخاطرة بتحركنا معاً على الجبال المكشوفة..

لم أستغرق الكثير لأصل إليهم في الكهف، لكنني عندما فعلت وجدت بسمة تهبّ واقفة بارتباك متوتر فيما حدجني أدهم بنظرات مبهمة.. لم أتساءل عن التوتر المحلق فوق رأسيهما فليس من عادتي

التدخل فيما لا يخصني.. وقلت لهما "لنذهب.. أمجد في انتظارنا، فقد وجدنا المخبأ المناسب لنا.."  
أسرعت بسمة الخطى تجاهي وأنا أشعر بها تنتهد بارتياح، فيم قال أدهم "سأتبعكما بعد قليل.."  
تعجبت من أمرهما وأنا أسير مع بسمة عاندين لأمجد ببطء بانتظار أن يلحق بنا أدهم.. لم تعجبني  
النظرات التي تبدت في عينيه، ولكنني لم أرغب بالتعليق بما قد يسيء له أو لها.. ولما ابتعدنا عن أدهم  
قالت لي بسمة بارتباك "حمراء.. أريد رأيك في أمر"

نظرت لها بشيء من التشجيع، ففركت كفيها قائلة بصوت خافت "لقد سألتني أدهم إن كنت أحمل  
اهتماماً تجاه أمجد.. لقد فاجأني هذا، ولم أعلم بم أجيبه.."  
فقلت بتعجب "وما الذي تريدين رأيي فيه؟"

قالت بقلق متزايد "لقد ألح عليّ بالسؤال.. حاولت أن أؤكد له أنني لا أهتم بأمجد إلا كصديق، لكنه  
حاصرني بأسئلته.. لماذا يفعل ذلك؟ لقد.. لقد كان لحوماً جداً وبدا عصبياً شيئاً ما.. وقد أخافني ذلك  
كثيراً.."

ابتسمت معلقة "لا تخافي منه.. إنه يريد الاطمئنان أنك لا تحملين اهتماماً خاصاً بأمجد لا غير"  
سألتني بقلق "ولماذا يريد معرفة ذلك؟"  
قلت هازة كتفي "قد يكون مهتماً بك.."  
بدل أن يتورد خداه كعادة الفتيات لمثل هذا الخبر، فإن عيناها اتسعتا بذهول وذعر وهي تهتف "لا..  
لا يمكن أن يكون ذلك.. أنا لا أريد ذلك"

نظرت لها بدهشة من ردة فعلها، فأضافت وهي تفرك يديها وتقول بصوت مرتجف "لماذا قد يكون  
مهتماً بي؟ ما الذي يريده مني؟"  
قلت مقطبة "بسمة.. ما بك؟ كيف تفسرين اهتمام رجل بك؟ ولماذا قد يصيبك ذلك بالذعر؟"  
قالت بانفعال "لكنني أخاف منه.. كيف.. كيف يمكنني أن أرفضه دون أن أجرحه؟ أخبريني ماذا  
أفعل"

تساءلت وقد دهشت من قولها "ولم ترفضينه؟ هل تكرهينه؟"  
قالت بارتباك وهي تعيد خصلات من شعرها للوراء "لا أكرهه.. لكنني لا أعتقد أنني أحبه.. أنا أخافه  
وأطمئن له في الوقت ذاته.. حقاً لا أدري ما أفعله.."  
قلت بتعجب أكثر "لم أفهم.. ظننتك تترتاحين لوجوده قليلاً.. كنت دائماً معه أينما ذهب ولم تفارقيه إلا  
قليلاً.."

ازداد ارتباكها وهي تقول "لا أعلم.. أنا أعرف أنه سيحميني ولن يدع شيئاً يصيبني بضرر.. لكن  
الأمر لا يتعدى ذلك.."

قلت رافعة حاجبيّ "إذن أنت استخدمته كحارس شخصي ولا تريدينه أن يحلم بأكثر من هذا..!"  
ثم قطبت وأنا أقول بشيء من اللوم "هذا اسمه استغلال.. أتعلمين ذلك؟"  
نظرت إلي وقالت مدافعة عن نفسها "لم أقصد ذلك.. إنه يخيفني أحياناً.. لا أظنني أحبه ولا يمكن أن يجبرني على ذلك"

فقلت ولومي يتزايد "إذن قل لي ذلك في وجهه فأنت ستجرحينه بأي طريقة تقولينها بها.. ولا تكوني أنانية وتتوقعي منه أن يرضى بموقع الحارس الشخصي للأبد.."  
قبل أن تجد الفرصة لترد عليّ ظهر أدهم من خلفنا، فسرنا بصمت وكل منا غارق في أفكار شتى..  
شعرت بحنق شديد.. من أنانية بسمة.. ومن غباء أدهم الذي جعله يحبها لجمالها..  
رأينا أمجد يقف قرب الكهف ينتظرنا، وبادرني "لم تأخرتم؟"

غمغمت بأي عذر غير مفهوم وأنا أتجاوزته وأجلس على صخرة جانبية والضيق بادٍ على وجهي، فيما ارتسمت حيرة على وجه بسمة.. أما أدهم فقد انشغل مع أمجد في التخطيط لليلة القادمة..  
بعد أن توغل الليل، خرجت لأجلس قرب مدخل الكهف أرجو الحصول على بعض الهواء والضيق في صدري يجعل الكهف خانقاً.. ولم تمض دقائق على جلوسي حتى اقترب أمجد مني وسألني بتعجب  
"ما الذي أثار غيظك لهذه الدرجة؟"

غمغمت بضيق "لا شيء.. لا تقلق.."

فقال "لكنني قلق بالفعل.. فما الذي حدث؟"

فقلت "لم أكن أعلم أن بسمة بهذه الأنانية.. لقد استغلت حماية أدهم ومساعدته لها طوال الوقت..  
وعندما شعرت بإعجابه بها رفضته دون تفكير.. لو كان يخيفها كما تدعي الآن فلماذا لم تبتعد عنه منذ البداية؟"

قال أمجد وقد تعجب من الموضوع الذي يسمعه لأول مرة "الحب لا يفرض فرضاً.. مادامت غير مرتاحة لاستجابة مشاعره فلها كل الحق في ذلك"

قلت بغيظ لوقوفه معها "لكنها استغلته.. هذا ما يغيظني أكثر"

قال هازئاً كتفيه "هي لم تستغله، بل هو من عرض خدماته دون مقابل.. لا أعتقد أنه عندما أسبغ عليها حمايته كان يهدف أن يغضبها على حبه.."

قلت بعصبية "أعني هذا أنك ترى أنها لم تخطيء؟"

سألني بصوت هاديء "أكل هذا الغضب لأجل أدهم؟"

زفرت صامته محاولة استعادة هدوئي، فقال أمجد "لا تقلقي على أدهم، لديه من الذكاء ما يجعله يدرك متى عليه أن ينسحب"

فغمغمت "أتمنى ذلك.. لا أودّ رؤيته تعيساً بسبب بسمة"  
علق أمجد قبل أن يغادر "ليس هو وحده من يبدو تعيساً"  
نظرت له بدهشة وهو يبتعد.. أكان يعينيني أنا بهذا؟.. رأيت بسمة تقترب مني بقلق، ووقفت قريباً  
تسألني "حمراء.. أأنت غاضبة؟"  
تنهدت محاولة إزالة تعليق أمجد من رأسي وأنا أجيب "طبعاً لا.. وهل لي الحق في ذلك؟"  
عادت تسألني "إذاً.. ما بالك؟"  
نهضت مجيبة "لأشياء.. متعبة وبحاجة للراحة"  
وابتعدت عنها لأتركها تتجرع حيرتها، فيما دلفت للكهف الذي سادته الصمت تلك الليلة..  
انشغلنا بتناول القليل من الطعام وتهيئة موقع نومنا، فيما بقي أدهم للمراقبة قرب الباب طواعية..  
كانت بسمة تلقي عليّ نظرات مترددة، ويبدو أنها تشعر بعمق ضيقي من تصرفها والحيرة ظاهرة  
على وجهها لردة فعلي.. ولها الحق في التعجب، فمن أكون أنا لأغضب لأدهم؟ من أكون لأجبرها على  
ما لا تريده؟ وهل سأرضخ لما قد يمليه عليّ الآخرون لو كنت في موقعها؟ لكنني لم أملك ضيقي وأنا  
أتجاهلها وأخلد للنوم فور انتهائي من طعامي..  
لكنني ظللت مستيقضة مدة طويلة أحاول استعطاف النوم بلا فائدة.. فكرت بتعليق أمجد الأخير مراراً  
وتكراراً بحثاً عن معنى له.. لكنني عجزت عن ذلك وأنا أستسلم للنوم الذي استعمرني أخيراً..

\*\*\*\*\*